كان ينظر تارة الى السماء وتارة الى الارض وقوله ما كذبت ولا كذبت فصحيح موثوق بنقله لا سيما لفصاحته وشهرته وكثرة رواته والوجه في ذلك انه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه في جملة القتلى فلما طال الزمان واشفق من دخول شبهة على اصحابه لما كان قدمه اليهم من الاخبار به قلق واهتم وجعل يكرر قوله ما كذبت ولا كذبت اي ما كذبت على رسول الله ولا كذبني رسول الله فيما اخبرني به فلما رفعه راسه الى السماء تارة واطراقه الى الارض اخرى فانه حيث كان يرفع راسه يدعو ويتضرع الى الله به في تعجيل الظفر بالمخدج وحيث كان يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق وكيف ينسب الى امير المؤمنين عليه السلام الى انه كان يوهم الناس نزول الوحي عليه ويثبت انا ابن عمه خاتم المرسلين ثم حين يقول ما كذبت فيما اخبرتكم به عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومما طعن به النظام عليه السلام قال اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كما حدثتكم فوالله لئن اخر من السماء احب الي من ان اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله واذا سمعتموني احدث فيما بيني وبينكم فانما الحرب خدعة قال النظام هذا يجري مجرى التدليس في الحديث ولو لم يجدهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاريض وعلى طريق الايهام لما اعتذر من ذلك فنقول في الجواب ان النظام قد وهم وانعكس عليه مقصد امير المؤمنين عليه السلام وذلك انه عليه السلام لشدة ورعه اراد ان يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه وبين ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لان الضرورة ربما تدعو الى استعمال المعاريض لا سيما في الحرب المبنية على الخديعة والراي فقال لهم كلما اقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلموا انه سليم من المعاريض خال من الزور والكناية لاني لا استجيز ولا استحل ان اعمي او اغرر في حديث رسول الله صلعم وما حدثتكم به عن نفسي فربما استعمل فيه المعاريض لان الحرب خدعة وهذا كلام رجل قد استعمل التقوى والورع في جميع اموره وبلغ من تعظيم امر الرسول عليه السلام واجلال قدره واحترام حديثه ان لا يرويه الا بالفاظه لا بمعانيه ولا بامر يقتضي فيه الباسا وتعمية ولو كان مضطرا الى ذلك ترجيحا للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه فاما اذا قال هو عليه السلام كلاما يبتدئ به من نفسه فانه قد يستعمل فيه المعاريض اذا اقتضت الحكمة والتدبير ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق الرواة كان اذا اراد ان يغزو وجها ورى عنه بغيره ولما خرج صلى الله عليه وآله من المدينة لفتح مكة قال لاصحابه كلاما يقتضي انه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة وقال حين هاجر وصحبه ابو بكر الصديق لاعرابي لقيهما ممن انت وممن انت فلما انتسب لهما قال له الاعرابي اما انا فقد اطلعتكما طلع امري فممن انت فقال من ماء فلم يزده على ذلك فجعل الاعرابي يفكر ويقول من ماء فمن اي ماء من ماء بني فلان فتركه ولم يفسر له وانما اراد عليه السلام انه مخلوق من نطفة واما قول النظام لو لم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاريض لما اعتذر من ذلك فليس في كلامه عليه السلام ما يعتذر به ولكنه نفى ان يدخل المعاريض في رواياته واجازها فيما يبتدئه عن نفسه وليس يتضمن هذا اعتذارا وقوله عليه السلام لان اخر من السماء يدل على انه ما فعل ذلك ولا يفعله ثم قال عليه السلام على من اكذب يقول كيف اكذب على الله وانا اول المؤمنين به وكيف الكذب على رسول الله وانا اول المصدقين به اخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم وزعمهم فان قلت كيف يمكن ان يكون المكلف الذي هو من اتباع الرسول كاذبا على الله لا بواسطة اخباره عن الرسول لانه لا وصلة ولا واسطة بينه وبين الله تعالى الا الرسول واذا لم يمكن كذبه على الله الا بكذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب وقوله اما ان نكذب على الله او على رسوله معنى قلت يمكن ان يكذب الكاذب على الله من دون ان يكون كاذبا على الرسول وان كان من اتباع الرسول وهو ان يقول كنت مع الرسول ليلة في مقبرة فاحيى الله تعالى فلانا الميت وقال كذا ويقول كنت معه يوما كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا ونحو ذلك من الاخبار بامور لا تستند الى حديث الرسول ثم قال عليه السلام كلا والله اي لا والله وقيل ان كلا بمعنى حقا وانه اثبات قال ولكنها لهجة غبتم عنها اللهجة بفتح الجيم وهي اللسان النطق يقال هو فصيح اللهجة وصادق اللهجة ويمكن ان يعني بها لهجة رسول الله صلعم فيقول شهدت وغبتم ويمكن ان يعني بها لهجة هو عليه السلام فيقول انها لهجة غبتم عن منافعها واعدمتم انفسكم ثمرة مناصحتها ثم قال ويلمه الضمير راجع الى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لانه لما ذكر اللهجة وشهوده اياها وغيبوبتهم عنها دل ذلك على علم قد خصه به الرسول عليه الصلاة والسلام فقال ويلمه وهذه كلمة تقال للتعجب والاستعظام يقال ويلمه فارسا وتكتب موصولة كما هي في هذه الصورة واصلها ويل امه ومرادهم التعظيم والمدح وان كان اللفظ موضوعا لضد ذلك

يفضي الى ان يقتلوه او يقتلوا اولاده او يسلموه ويسلموهم الى معاوية ومتى علم هذا او غلب على ظنه لم يخبر لان يسوسهم بالقتل المفضي الى هذا المفسدة فلو ساسهم بالقتل والحالة هذه لكان اثما عند الله تعالى ومواقعا للقبيح وفي ذلك افساد دينه كما قال عليه السلام واما قوله عليه السلام لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل الى آخر الفصل فكانه قال لا تعتقدون الصواب والحق كما تعتقدون الخطا والباطل اي اعتقادكم الحق قليل واعتقادكم الباطل كثير فعبر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة وهي نوع تحت جنسه مجازا ثم قال ولا تسرعون في نقض الباطل وهدمه سرعتكم في نقض الحق وهدمه واعلم ان الهجاء بالجبن والذل نظير قوله عليه السلام انكم لكثير في الباحات قليل تحت الرايات قول معدان الطائي فاما الذي يحصيهم فمكثر واما الذي يطريهم فمقلل ونحو من قول قراد بن حنش وهو من شعر الحماسة وانتم سماء يعجب الناس درها بايديه يجي شديد وسدها تقطع اطناب البيوت بحاصب واكذب شيء برقها ورعودها فويل لها حيلي بها وسارة اذا لاقت الاعداء لو صدودها ومن شعر الحماسة في هذا المعنى لقد كان فيكم لو وفيتم لجاركم لحى ورقاب عزة ومناخر من الضهب اشباه حديعا كانهم عذارى عليها شوزة ومعاجر ومن الهجاء بالجبن والفرار قول بعض بني طي يهجو حاتما وهو من شعر الحماسة ايضا لعمري وما عمري لدي بهين لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم غداة اتى كالثور احرج فاتقى بجبهته اقياله وهو قايم كان بصحراء المريط نعامة يبادرها جنح الظلام نعايم اعارتك رجليها وهامي لثتها وقد جردت بيض المتون صوارم ونظير المعنى الاول ايضا قول بعضهم من شعراء الحماسة كابن لسعدان سعد كثيرة ولا ارج من سعد وفاء ولا نصرا يروعك من سعد بن عمرو حسومها ويزهد فيها حين يقتلها خبرا ومنه قول عريف القوافي وما المكثر تحت الخوافي والقنا بثكلى ولا زهراء من نسوة زهر السم اقل الناس عند لوائهم واكثرهم عند الذبيحة والقدر وممن حسن الجبن والفرار بعض الشعراء في قوله اضحت تشجعني هند وقد علمت ان الشجاعة مقرون بها العطب لا والذي حجت الانصار كعبته ما يشتهي الموت عندي من له ارب للحرب قوم اضل الله سعيهم اذا دعتهم الى حومانها وثبوا ولست منهم ولا اهوى فعالهم لا القتل يعجبني منها ولا السلب ومن هذا قول المرار بن حليم الاسدي ان للفتنة ميطا بينا ورويد الميط منها يعتدل فاذا كان عطاء فانبذد واذا كان قتال فاعتزل انما يسعرها جاهلها حطب النار فدعها تشتعل وممن عير بالجبن اميه بن عبد الله بن خالد بن اسيد عيره عبد الملك بن مروان فقال اذا صوتت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرايد وقال آخر يطير فؤاده من نبح كلب ويكفيه من الرجز الصفير وقال آخر ولو انها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وازنما ومن اخبار الجبناء ما رواه ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار قال راى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له مم تضحك يا امير المؤمنين اضحك الله سنك قال اضحك من حضور ذهنك عند ابدائك سوءتك يوم ابن ابي طالب والله لقد وجدته منانا ولو شاء ان يقتلك لقتلك فقال عمرو يا امير المؤمنين اما والله اني لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وانتفخ سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك او فدع قال ابن قتيبة وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان الى الوليد وهي تحته يومئذ من هذا الاعرابي المستلئم في السلاح عندك على خلوة وانت في غلالة فارسل اليها الوليد انه الحجاج فاعادت اليه الرسول والله لان يخلو بك ملك الموت احيانا احب الي من ان يخلو بك الحجاج فضحك واخبر الحجاج بقولها وهو يمازحه فقال الحجاج يا امير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك فلما انصرف الحجاج ودخل الوليد على امراته اخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا امير المؤمنين حاجتي اليك اليوم ان تامره غدا ان ياتيني مسلما ففعل ذلك واتاها الحجاج فحجبته ثم ادخلته ولم تاذن له في القعود فلم يزل قائما ثم قالت ايه يا حجاج انت الممتن على امير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وابن الاشعث اما والله لولا ان الله علم انك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين اول مولود في الاسلام واما نهيك امير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته واوطاره فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالقبول منك وان كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك اما والله لقد نفض نساء امير المؤمنين الطيب من غدايرهن فبعنه في اعطية اهل الشام حين كنت في اضيق من القرن قد اظلتك رماحهم واثخنك كفاحهم وحين كان امير المؤمنين احب اليهم من ابائهم وابنائهم فانجاك من عدو امير المؤمنين بحبهم اياه قاتل الله القائل حين ينظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك اسد علي

Copyright ... University